دراسة مطولة عن اللوبي الاسرائيلي واثره في السياسة الخارجية الامريكية تثير جدلا كبيرا:

اسرائيل اضحت عبئا على امريكا وسبباً في التهديد الارهابي وكانت الدافع الاول لغزو العراق

لندن ـ «القدس العربي»:

اثار مقال مطول عن الدعم الامريكي لاسرائيل والدور الذي تلعب جماعات المصالح الاسرائيلية في امريكا وكتبه باحثان مهمان في الاكاديمية الامريكية جدلا واضحا بين المؤيدين لاسرائيل. والمقال كتبه عميد مدرسة كيندي لدراسات الحكومة في جامعة هارفارد ستيفن وولت، والباحث في العلوم السياسية، جون ميرشايمر، من جامعة شيكاغو، ونشر المقال على موقع للانترنت، كم نشرته مجلة «لندن ريفيو اوف بوكس» المعروفة في بريطانيا. ومع ان الحديث عن اللوبي المؤيد لاسرائيل في السياسة الامريكية امر مثير للجدل، الا ان مقال الباحثين، والواضح في حديثه عن العبء الذي صارت تمثله اسرائيل على امريكا، باعتبارها مصدراً للخطر، والانفاق المالي الامريكي الكبير، فقد اثار المقال ضجة كبيرة في العالم الاكاديمي، حيث اتهم احد الذين وردت اسماؤهم بالمقال الان دوشويتز الكاتبان بالتعصب والكذب، فيما وصف الاكاديمي الناقد لهما بالاعتذاري عن اسرائيل وافعالها.

واستخدم دوشويتز، سلاح العداء للسامية، حيث قال «الاتهامات بوجود يهود اقوياء خلف الاستار هي جزء قوي من التقاليد الحديثة لمعاداة السامية».

كما قال النقاد ان المقال نال اعجاب احد دعاة التفوق العنصري الابيض الامريكيين، واسمه ديفيد ديوك. ولكن ميرشماير علق على النقد الشديد والهجوم بانه اثبات لاطروحة المقال من ان اللوبي الاسرائيلي المؤثر في امريكا يقوم بتعويق اي مناقشة جيدة للسياسة الامريكية الخارجية، حيث قال «ناقشنا في المقال ان اللوبي الاسرائيلي يذهب بعيدا في اسكات الناقدين لسياسات اسرائيل والعلاقات الامريكية ـ الاسرائيلية، واهم سلاح في عملية الاسكات هو الاتهام بمعاداة السامية».

وقال ميرشماير في تصريحات نقلتها عنه صحيفة «الغارديان» «توقعنا ان يتهمنا اللوبي اليهودي بالعداء للسامية، مع ان كلانا ساميان ويؤيدان بقوة وجود اسرائيل». واضاف قائلا ان الكثير من الاشخاص يعرفون ان القصة، الواردة في المقال صحيحة الا انهم يخافون من ان يعاقبهم اللوبي الاسرائيلي.

وبعد ان نشر المقال اعلنت مدرسة كيندي لدراسات الحكومة ان وولت سيترك منصبه، مع ان المدرسة اكدت ان الخطة لانهاء خدمات العميد سبقت نشر المقال، ولكن المدرسة قامت بسحب الورقة الاولى في المقال والتي تحمل شعار المدرسة واصدرت بيانا جاء فيه ان الهدف من سحب الصفحة هو ازالة الغموض، ولم يكن الهدف كما يقول بيان المدرسة، وكما سيفسر الكثيرون هو محاولة ابعاد المدرسة عن المقال.

وقال ميرشماير ان جامعتي هارفارد وشيكاغو تصرفتا بنوع من الاحترام، وقدمتا الدعم للكاتبين. وفي مركز المقال فكرة ان امريكا تقوم احيانا بالتضحية بمصالحها القومية ومصالح حلفائها من اجل الدفاع عن مصالح اسرائيل، وهذا بسبب اللوبي المؤثر الداعم لاسرائيل، خاصة لجنة الفعل السياسي الاسرائيلية «ايباك» التي صنفها اكثر من استطلاع بأنها اللوبي الثاني الاكثر تأثيرا على السياسة الامريكية، بعد لوبي المتقاعدين.

وفي بداية المقال يتحدث الكاتبان عن مكان اسرائيل في السياسة الامريكية، خاصة منذ حزب حزيران (يونيو) 1967. ويقول الكاتبان ان الدعم الامريكي غير المشروط لكل ما تقوم به اسرائيل، ومحاولات الادارة نشر الديمقراطية في العالم العربي الهبت مشاعر الجماهير في العالمين العربي والاسلامي.

والعلاقة بين اسرائيل وامريكا لا تنبع كما يشير المقال من المصالح المشتركة ولكن بسبب العوامل المحلية، اللوبي. وقدم الكاتبان قائمة فيما قدمته امريكا وتقدمه لاسرائيل من دعم مالي، ودعم عسكري وتدخل في النزاعات لصالح اسرائيل.

واهم ما في المقال ان اللوبي الاسرائيلي المؤثر كان فاعلا في اقناع الادارة بغزو العراق ليس من اجل النفط ولكن لتأمين مصالح اسرائيل، حيث كان الزعماء الاسرائيليون واللوبي الداعم لهم يريد الحرب وشعروا بالقلق عندما اتجه بوش لمجلس الامن، وعندما وافق صدام على ادخال فرق التفتيش لبغداد، حيث قال شمعون بيريس «الحملة ضد صدام حسين واجب»، وبنفس الاتجاه دعا ايهود باراك وبنيامين نتنياهو لضرب العراق وعندما بدأ بوش محاولاته لتسويق حرب العراق، تداعى اللوبي الاسرائيلي للدفاع عنه.

ويرى الكاتبان ان الكرم الامريكي الكبير تجاه اسرائيل قد يكون مفهوما، اذا كانت هذه الدولة فعلا رصيدا استراتيجيا لامريكا. ولكن اسرائيل منذ 1990، وبعد هجمات ايلول (سبتمبر) 2001 لم تعد تلك الركيزة الاستراتيجية للسياسة الامريكية، بقدر ما اصبحت عبئا ومصدر تشويش وقلق لامريكا عندما يتعلق الامر بحلفاء الادارة في المنطقة العربية. وفي الوقت الذي تحاول فيه اسرائيل تصوير نفسها بانها جزء من الحرب على الارهاب لان اعداءها هم اعداء امريكا، الا ان المقال يقول انها اي اسرائيل اصبحت «تهمة» لامريكا. ويقول المقال ان امريكا لديها مشكلة مع الارهاب لانها تتحالف مع اسرائيل، فدعم امريكا لها هو مصدر المشاعر المعادية لامريكا في العالم الاسلامي والعربي.

ويناقض الكاتبان كل الادعاءات التي يسوقها اللوبي المؤيد لاسرائيل، والذي يحاول تسويقها بانها جبهة ضد الدول المنبوذة، مشيرين الى ان اسرائيل هي التي تمنع امريكا من التعامل مع هذه الدول.

كما ان فكرة واحة الديمقراطية الوحيدة في الشرق الاوسط، ليست صحيحة بالمطلق، فالديمقراطية الاسرائيلية تختلف كثيرا عن تلك الامريكية، لانها لا تطبق الا على اليهود، فيما يتم استبعاد 1.3 مليون فلسطيني عربي في الدولة العبرية. ويتساءل الكاتبان لماذا هذا الحنو الامريكي على «ديمقراطية اسرائيل» وفي العالم الكثير من الديمقراطيات الناجحة التي لم تتوان امريكا بالاطاحة بها لانها عارضت مصالحها؟

وفي حديث اللوبي عن ان اسرائيل «ديفيد» تحارب «جالوت» الفلسطينيين يقول المقال ان هذا ليس صحيحا لان الفلسطينيين وطوال كفاحهم ضد اسرائيل لم يكن لديهم القدرات والدعم الذي توفر لاسرائيل وقبلها الحركة الصهيونية.

وعندما تحدث الكاتبان عن تبرير الدعم الامريكي لاسرائيل من خلال التجربة اليهودية في اوروبا، ينقلان عن زعماء الصهيونية الذين قالوا انهم سرقوا ارض الفلسطينيين، الذين حملوا اوزار اوروبا. وحتى فكرة الدفع باتجاه السلام من الجانب الاسرائيلي يشير المقال الى انها ليست صحيحة، في الوقت الذي صور فيه الجانب العربي بالشرير.. فتراث الصهيونية والحكومات الاسرائيلية المتعاقبة يشير للعكس.

يستخدم الكاتبان عبارة اللوبي للاشارة للجماعات اليهودية التي تقوم بالدفاع عن مصالح اسرائيل في الادارة الامريكية، ويعترفان هنا ان اللوبي ليس منظما، ولا يعبر عن اليهود الامريكيين بشكل كامل، فهناك نسبة 39 بالمئة من اليهود الامريكيين لا يشعرون باي ارتباط عاطفي باسرائيل، فيما ترتبط جماعات الضغط الاسرائيلية، مثل «ايباك» بحزب الليكود، وهذه الجماعات غالبا ما تستشير اسرائيل للتأكد من ان افعالها تصب في المصلحة الاسرائيلية. والى جانب الجماعات اليهودية هناك اليمين المسيحي الذي يرى في انشاء اسرائيل تحقيقا للنبوءة في الكتاب المقدس.

ويضاف الى هؤلاء المحافظون الجدد، مثل جورج ويل، الكاتب الصحافي المعروف، وجين كيركباتريك، السفيرة السابقة في الامم المتحدة، وجون بولتون، سفير واشنطن الحالي في نيويورك، والمحرر السابق للصحيفة اليمينية «وول ستريت جورنال» ويليام بينت.

وتقوم جماعات الضغط بالعمل على تحقيق هدفين، الضغط على الكونغرس والسلطات التنفيذية، اما الهدف الثاني فهو التحقق من تقديم صورة اسرائيل بطريقة ايجابية، من خلال نشر الاساطير عن نشوئها، وتمرير وجهة النظر الاسرائيلية.

ويعتقد ان اهم عمود من اعمدة التأثير الاسرائيلي على السياسة الامريكية هو الكونغرس الذي يعتبر فيه نقد اسرائيل من المحرمات، والسبب ان معظم اعضائه من المسيحيين الصهيونيين مثل ديك ارمي الذي قال 2002 ان «اولويته الاولى هي حماية اسرائيل». ولا يخفى هنا عامل ايباك التي تقوم بمكافأة كل الذين يعملون على دعم اسرائيل. وتمثل ايباك بالنسبة لاعضاء الكونغرس المصدر الرئيسي للمعلومات حتى قبل الاتصال بمكتبة الكونغرس. ولهذا السبب فقد ادى التأثير الكبير الذي تمارسه ايباك على الكونغرس، لخنق اي حوار او نقاش للسياسة الامريكية المتعلقة باسرائيل.

وتقوم منظمات الضغط المؤثرة بالتأكد من عدم وصول اي ناقد لاسرائيل للمناصب العليا المتعلقة برسم السياسات، ولهذا السبب فان اي شخص يطمح بالدخول في سلك السياسة يتلقى نصيحة وهي ان يكون واضحا في دعمه لاسرائيل. وعندما طالب هوارد دين، المرشح الديمقراطي للرئاسة، باتخاذ سياسة متشددة تجاه الصراع العربي ـ الاسرائيلي، اتهمه اللوبي الاسرائيلي ببيع اسرائيل ورميها في النهر مع ان دين يعتبر من الصقور المدافعين عن اسرائيل ومدير حملته كان احد اعضاء «ايباك».

وخلال ادارة كلينتون كان راسمو السياسة الامريكية الخارجية هم من المؤيدين لاسرائيل، مثل مارتن انديك، ودينس روس وارون ميللر، وهذا الامر واضح في ادارة بوش الاولى والثانية، مثل جون بولتون، دوغلاس فايث، بول وولفويتز، ريتشارد بيرل، ولويس ليبي سكوتر، وديفيد وورزمر. ويعتقد الكاتبان ان اللوبي لا يريد فتح اي حوار حول اسرائيل خوفا من مساءلة الناس عن حجم الدعم المقدم لاسرائيل.

ومن هنا فمفاهيم اللوبي غالبا ما تظهر في الاعلام السائد في امريكا، وبحسب احد محرري الصحف «شارون، بيبي، شامير، كل ما يطلبه هؤلاء الاشخاص هو جيد بالنسبة لي»، ولهذا تقوم الصحف المؤيدة لاسرائيل بنشر مقالات رأي واضحة كل الوضوح في دعم اسرائيل، وحتى «نيويورك تايمز» ليست محصنة من اللوبي الاسرائيلي مع انها تنتقد اسرائيل في بعض المرات.

واشار المقال الى التأثير المباشر الذي يمارسه اللوبي الاسرائيلي على مؤسسات البحث «ثينك تانك»، بل قام اللوبي بانشاء مراكز بحث خاصة به، والتأثير الاسرائيلي واضح في مركز «بروكينغز» الذي يدعمه مركز سابان، وهو الذي انشأه حاييم سابان، رجل اعمال ومتعصب في دفاعه عن الصهيونية. ويسيطر اللوبي علي حلقات النقاش في الجامعات، حيث يقوم اللوبي ومراكزه بتنظيم ما اسماه «قوافل الديمقراطية» التي تستعين بمتحدثين من اسرائيل. ويقوم اللوبي بمراقبة ما ينشره الاساتذة وما يكتبونه في الدوريات والمجلات العلمية، حيث انشأ مارتن كريمر، ودانيال بابيس موقعا اسموه «مراقبة الحرم الجامعي».

ويقوم اعضاء في اللوبي بممارسة الضغط على الجامعات الامريكية، واكثر جامعة تعرضت للهجوم كانت كولومبيا التي كان يدرس فيها الناقد الراحل ادوارد سعيد، وقام اللوبي بنفس الحملة عندما عينت الجامعة رشيد الخالدي استاذا، كما تعرضت برنستون لنفس الضغوط.

كما يعتقد اللوبي ان استمرار الدعم الامريكي للسياسات الاسرائيلية ضد الفلسطينية امر مهم، حيث نجح اللوبي كما يقول برنت سكوكروفت بالتلاعب بالادارة الامريكية او كما قال «شارون لف بوش حول اصبعه».

بيل كلينتون

اعتراف بوجود دولة قبطية موازية خاضعة للكنيسة ردا على الدولة الرسمية ودولة الاسلام السياسي.. ونصائح لرجب بالزواج من هيفاء وهبي

شقيق البنا يحذر مبارك من توريث الحكم لابنه مثل معاوية وشاه ايران.. ومطالبته بالاعلان عن اسم الرئيس القادم

القاهرة ـ «القدس العربي»

ـ من حسنين كروم:

كانت الاخبار والموضوعات الرئيسية في الصحف المصرية الصادرة الجمعة عن استقبال الرئيس مبارك، زعيم كتلة المستقبل اللبنانية الشيخ سعد الحريري، ورئيس وزراء دولة التشيك، وتحديد يوم الحادي عشر من الشهر الحالي ـ ابريل ـ موعدا لامتحانات الصف الثالث الابتدائي حتى الصف الأول الثانوي لابناء المصريين بالخارج في مقارات السفارات المصرية واشتباه في اصابة شخصين بانفلونزا الطيور وظهور بؤر اصابة جديدة واعدام ونفوق عشرات الالاف من الدجاج واستمرار تفشي وباء الحمى القلاعية بين المواشي وندرة الامصال المضادة له والاستعدادات للمولد النبوي الشريف وضبط حلوى مولد فاسد واستمرار اجهزة محافظة الاسكندرية في عملية تطوير سوق الحضرة واستقبال كل من المشير محمد حسين طنطاوي وزير الدفاع والانتاج الحربي والفريق سامي عنان رئيس أركان حرب القوات المصري، الفريق اول جون ابي زيد قائد المنطقة المركزية الامريكية وبيان مركز معلومات مجلس الوزراء عن ارتفاع حجم الصادرات المصرية لهولندا لرقم 373 مليون دولار، ووفاة اكبر معمر مصري في قرية دندرة بمحافظة قنا واسمه محمد محمد المهدي عن 130 سنة، وتزوج من تسع نساء وانجب 9 ابناء وله 55 حفيدا، ومنع عضو مجلس الشعب السابق عن الاخوان الدكتور محمد جمال حشمت من السفر الى العاصمة اللبنانية بيروت لحضور اعمال المؤتمر القومي الاسلامي رغم عدم وجود قرار من النائب العام بمنعه من مغادرة البلاد.

والى ما لدينا اليوم من موضوعات.

الرئيس مبارك

ونبدأ برئيسنا الذي تجرأ الكاتب جمال البنا شقيق الشيخ حسن البنا ـ عليه رحمه الله ـ على توجيه تحذير اليه في مقال له بـ«الدستور» عنوانه «الوراثة المشؤومة هل يعيد التاريخ نفسه؟» قال فيه: «اقترنت وراثة الحكم في التاريخ الاسلامي القديم والحديث بشؤم جعلها نذيراً بنهاية العهد. بدأت الوراثة عندما وسوس شيطان من الإنس لمعاوية، وهو رجل الدولة الحكيم الفطن الكيس ان يرتكب غلطة العمر، فيقرر ان يخلفه يزيد وهذه الغلطة التي لا يمكن تبريرها توضح لنا عمق العاطفة الابوية وارتباطها بالسلطة بحيث يرى الأب أن وراثة الابن لا تتم الا عندما يرث السلطة ايضا وما يضاعف من أثرها أن يحدث هذا بالنسبة للخلافة ـ التي وليها ابو بكر وعمر وعلي وهم جميعا من قمة رجالات الاسلام ورعا وتقوى وكفاية واخلاصا ـ وأن يكون من يورثة هو يزيد الذي لم يعرف عنه موهبة تبرر توليه، ولا تقوى تعصمه من الانحراف بل عرف عنه ما يمكن ان يكون عكس ذلك. في الحقبة المعاصرة كانت أمنية الملك فاروق أن تنجب له زوجته الملكة فريدة ولدا يكون ولي العهد ووارث العرش وعجزت فريدة ان تنجب له ولدا ذكرا، فطلقها وتزوج ناريمان التي انجبت له ولي العهد المنشود الذي اطلق عليه اسم احمد فؤاد واحتفل بميلاده في يوم لا ينسى لأنه كان يوم حريق القاهرة 26 كانون الثاني (يناير) سنة 1952 ولكن الابن الذي طلق من أجله فاروق زوجته الأولى لم يرث عرشاً وانما انضم الى سلالة «الذين كانوا ملوكا». وكان ميلاده نذيرا بالثورة التي اطاحت بالملكية.

وتكررت المأساة مع امبراطور ايران فمع انه كان يحب زوجته الجميلة «ثريا» حبا جما، الا انها عندما عجزت عن الانجاب طلقها، وتزوج فرح ديبا، التي انجبت له ولي العهد ولكن ولي العهد لم يرث عرشا، وانما كان ميلاده نذيرا من سلالة «الذين كانوا ملوكا». واليوم تبذل مؤسسة الرئاسة جهودها ليرث «جمال» أباه مبارك فهل يعيد التاريخ نفسه؟

هل تتعظ مؤسسة الرئاسة التي تسعى جاهدة لتجعل الابن يرث الأب؟ هل فكرت في ان هذه المحاولة لن تسفر الا عما أسفرت عنه محاولة فاروق ورضا بهلوي وان من الممكن ان تكون ايذانا بتغيير شامل لا يقتصر على الابن، ولكن ايضا يشمل الأب، وكل الحسابات التي قام عليها النظام؟».

ما هذا الكلام؟ ما لنا نحن ومعاوية ويزيد وفاروق وبهلوي؟ لماذا العودة الى الماضي الذي حاول كاتب «الدستور» الساخر بلال فضل ان يعيدنا اليه بان تخيل كتابة قصة فيلم عن الخيال العلمي عن مصر، باستخدام آلة الزمن التي رجعت للوراء خمسة وعشرين عاما وقال: «تخيل اننا لو قررنا ان نجعل بطل الفيلم المصري يحذو حذو البطل الامريكي فيرجع ربع قرن الى الوراء بفعل اختراع آلة الزمن التي سنفترض ان عالما مصريا يسكن في ارض اللواء صنعها بعون الله و«ببركة دعاكي يا أمه».. لكن في الفيلم الامريكي شعر البطل مايكل جي فوكس بصدمة حضارية عندما عاد ربع قرن الى الوراء برغم ان الفيلم انتج في الثمانينات ولم يكن التقدم العلمي قد وصل الى حده المرعب الذي وصل اليه الآن، طيب قل لي بالله عليك ما الذي سيجده بطل فيلمنا مختلفا في مصر عندما يعود الى الماضي ربع قرن؟ سيجد مصر يحكمها نفس الرئيس بدون نائب وسيجد قرينة الرئيس تفتتح مكتبة جديدة للطفل، سيجد كمال الشاذلي وصفوت الشريف ومفيد شهاب وآمال عثمان وفتحي سرور متصدرين الساحة السياسية لا أرباب معاشات يتشمسون في ساحات الاندية، سيجد كوبري ستة اكتوبر «واقف» كما هو واعلام ماسبيرو «نايم» كما هو ونشرة ستة تذيع استقبالات السيد الرئيس ومانشيتات الصحف القومية التي تتحدث عن عظمة الرئيس القائد وسماع العالم لحنكته السياسية.. سيجد مذيع الكرة يشكر رجال الامن ويبعث الف شكر للسيد الرئيس راعي الرياضة والرياضيين.. سيجد المجتمع يطحن في بعضه جدلا هو هواه حول الاصالة والمعاصرة والهوية والحداثة والعلمانية والاسلام هو الحل.. سيجد الصحف تطالب بتعيين نائب للرئيس والغاء قوانين الطوارىء وتفعيل دور الاحزاب وعدم حبس اصحاب الرأي والفكر وتتساءل هل نعطي الاخوان حزبا ام نسحلهم في السجون.. سيجد مصر كما هي على حطة ايد اللي خلفوه.. لم تخترع اختراعا علميا واحدا يرفع رأسها بين الامم.. لم تنتصر الا في ملاعب الكرة كل حين مين، سيجد الناس يشكون من الغلاء والكوا والزحمة وخراب الضمائر ويحنون الى زمن الفن الجميل لان الدنيا خلاص باظت.. سيجد الشباب متلقح على القهاوي ينتظر عملا، والبنات يحلمن بواحد عنده شقة ومجهزها».

ومع المقال رسمان لزميلنا عمرو عكاشة الاول لشخص داخل آلة الزمن.. يقول.. ها.. ها.. هااي رحت لعام 3006 لقيت مبارك لسه بيحكم.

والرسم الكاريكاتيري الثاني لشخص يفكر في باب الكلمات المتقاطعة باحدى الصحف ويسأل عسكري.. رئيس عربي اول حرف منه ميم..

فرد العسكري عليه قائلا.. مؤبد.

ما شاء الله.. ما شاء الله.. ما هذا الكلام السخيف وما تلك الرسوم الاكثر سخافة عن رئيسنا؟! ثم يأتي زميلنا وصديقنا مجدي مهنا ليضيف عليهما قوله الجمعة في عموده اليومي بـ«المصري اليوم» ـ في الممنوع: «من مرسى مطروح اخبرني احد المواطنين بأن اهالي مرسى مطروح والسلوم ممنوعون من مغادرة منازلهم والخروج منها، سألته، كيف؟ قال: ان الامن هدد الاهالي بالاعتقال اذا خرجوا الى الشوارع يوم كسوف الشمس صباح الاربعاء وهو اليوم الذي زار فيه الرئيس مبارك وافراد اسرته مدينة السلوم للمشاركة في هذا الحدث الفريد. اضاف لك ان تتصور كيف كانت فرحة اهالي مطروح والسلوم في هذا اليوم لو خرجوا الى الشوارع وشاركوا في هذا الحدث الكبير، وانتفعوا واستفادوا به في تجارتهم ببيع الزيتون وغيره من الحبوب والغلال التي تشتهر بها المدينة الى السياح. ولم يجد مني هذا المواطن الذي لا اعرفه غير الدهشة والاستغراب في اي زمن نحن، وهل يعيش المصريون في عزبة او داخل اقطاعية احد الباشوات، يتحكم فيها؟ وهل المبالغة في الحفاظ على امن الضيوف من السياح، وامن الرئيس وافراد اسرته، وصلت الى هذا الحد.. حد صدور فرمان من احد الاغوات بمنع ظهور الرعاع من الاهالي وخروجهم الى الشوارع في هذا اليوم ومنعهم من مغادرة منازلهم؟ كما لفت انتباهي صديق لي الى ظاهرة انتشار قوات الامن في شوارع وميادين القاهرة بكثافة غير معهودة في الايام الاخيرة، كأنها تنتظر او تترقب احداثا معينة عليها مواجهتها والتعامل معها، وقد لاحظت هذا التواجد الامني الكثيف في صالة الجوازات بمطار القاهرة منذ ايام بصورة لا تخطئها العين، في مشهد لا تراه في اي مطار لدولة متحضرة، وهو مشهد لا يريح العين، ولا يبعث على الثقة ويوحي بالاضطراب والقلق من حدوث شيء ما.. ما الذي يجري في مصر هذه الايام؟ وهل هناك امل، او فرصة لتنفيذ سيناريو التوريث في مناخ الارهاب والخوف هذا؟ هل لحظة مواجهة الحقيقة اقتربت، بعد ان بلغ الفساد اقصى درجاته وهو فساد محمي بالسلطة وبالنفوذ؟».

جمال مبارك

والى جمال مبارك الامين العام المساعد للحزب الوطني وامين امانة السياسات وحديثه في برنامج «اتكلم» مع زميلتنا ليس الحديدي وردود الافعال عليه، ومنها ما كتبه يوم الخميس في «المصري اليوم» زميلنا بجريدة «الاخبار» صبري غنيم معلقا ومعجبا ومطالبا جمال ببعض الاشياء. قال: «لقد ادهشني من خلال حواره الهادىء.. كيف يكون شابا مثله بهذا النضج السياسي وبهذه الثقافة العالية، يفرض على نفسه عزلة اعلامية، وان كنت ارى انه بعد كلامه هذه المرة وعلى الهواء مباشرة ستكون البداية للاعلان عن اختراقه جدار العزلة ونزوله الى الشارع المصري بعد النجاح الذي حققه هذا الحوار.

بصراحة.. ليس الحديدي نجحت في ان تتيح لجمال مبارك فرصة اكتشاف نفسه مع الحوار الجيد، فأصبح قريبا من قلوب الناس.. فالمحاور الجيد هو الذي يكشف عن جوانب كثيرة لا يراها الناس في ضيفه لذلك اقول له: مرحبا بك في الشارع المصري.. فالناس تريدك ان تكون صوتا لهم عند الرئيس، لا ان تكون واجهة سياسية لحزب يحمل شعار الديمقراطية، وحرية الرأي فيه سجينة تخضع لقانون الجنايات.. لقد اصبح الصحافي المطية لاي مسؤول فاسد لانه وجد ثغرة قانونية يحصل منها على حكم بحبس صاحب القلم الذي كشف سره.. نريد من جمال مبارك سندا للصحافة في الكشف عن الفساد.. لقد اعجبني ان اسمع منه انه لم ولن يسمح لاحد قريبا منه ان يستثمر اسمه في الكسب غير المشروع او حتى المشروع.. يختار المقربين منه على الفرازة، الذين لديهم الرغبة في العمل التطوعي لا في عمل البيزنس.. ان هذه المبادىء تحسب لجمال مبارك.. فاذا كان ابن الرئيس هكذا.. فلماذا لا يكون الذين حول الرئيس بأخلاقيات ابن الرئيس؟!».

ونتحول الى «جمهورية» نفس اليوم وزميلنا محمد علي ابراهيم رئيس تحريرها وقوله: «الاعلام والصحافة والكتاب والصحافيون جعلوا من جمال مبارك شخصا في مرمى النيران من اللحظة الاولى التي فكر فيها ان يمتهن العمل الحزبي، منذ هذه اللحظة جعل مبارك متهم.. متهم في ذمته المالية.. وفي اصدقائه، وفي تأثيره على الحكومة.. وفي اختياره للوزراء، كل هذه الاتهامات سببها انه ابن الرئيس مبارك، وهناك سبب آخر ايضا، في المنطقة العربية انتهى زمن القيادات التاريخية ولم يبق غير الرئيس حسني مبارك الذي قاد مصر بحنكة واقتدار بعيدا عن المغامرات والاطماع والفخاخ التي نصبها الثعالب لسيرة مصر، لكن عندما اوكل صدام حسين مسؤوليات كبيرة لابنيه عدي وقصي، وكذلك فعل القذافي وايضا بتولي بشار الاسد رئاسة سورية، بدأت شائعة ان جمال مبارك هو الرئيس القادم لمصر، نفاها الرئيس مبارك اكثر من خمس مرات، ونفاها جمال مبارك نفسه اكثر من مرة وفي مناسبات مختلفة.. ومع ذلك فان الناس ما زالت تتحدث عن التوريث.. وخاض مع الخائضين كاتب كبير له وزنه وقيمته في زمن الناصريين. الحوار ناجح وغير مسبوق.. والحرية التي ظهر بها تحسب لوزير الاعلام انس الفقي ولطاقم البرنامج.. وقبل هذا لجمال مبارك نفسه الشاب المصري الذي كلما شاهدته اتعجب من الصبر الذي يتحمل به كل ما يكتب عنه وكل ما يسمعه من اتهامات وتعريض وتدخل في الحياة الشخصية، ويبدو انه سيتحمل اكثر من ذلك بعد الحديث التلفزيوني».

ونظل داخل مؤسسة دار التحرير، ففي جريدة «المساء» بنفس اليوم، كال زميلنا سامي حامد ان ينفجر غيظا من اولئك الذين قال عنهم في صفحة «اخبار المساء»: «مفارقة عجيبة وغريبة تحدث في مصر منذ فترة ولا تزال. وهي ان معارضي فكرة توريث الحكم هم انفسهم دعاة ومروجو هذه الفكرة، ففي كل مرة يؤكد فيها جمال مبارك عدم نيته بل وعدم رغبته في ترشيح نفسه للانتخابات الرئاسية، تخرج الاصوات المعارضة لتوريث الحكم لفتح هذا الملف مجددا وتشكك فيما ينفيه جمال مبارك بصراحة. لقد زادت المسألة على الحد. واخذ ملف توريث الحكم اكثر من حجمه رغم نفي الرئيس مبارك».

وهكذا يكون الكلام الواضح والمستقيم، ولذلك اندهشت لابعد الحدود من كاريكاتير الرسام الموهوب عمرو سليم في «الدستور» وكان عنوانه ـ كذبة ابريل ـ والرسم لرئيسنا يلقي خطابا ويمسك اوراقه بكلتا يديه ويقول: جمال لن يؤرث، بينما يمسك بأصابع قدمه اليمنى بقلم على ورقة اخرى بجوار منصة الخطاب مكتوب عليها: جمال رئيس للجمهورية..».

فهل هذا كلام وكاريكاتير يصح ان يكتبه ويرسمه ابن صديقنا وزميلنا الراحل جمال سليم؟!

لاحول ولا قوة الا بالله العلي العظيم.. والى زميلنا وصديقنا مجدي مهنا وقوله وهو يتلمظ غيظا يوم الخميس في عموده اليومي بـ«المصري اليوم» ـ في الممنوع ـ: «عودة مرة ثانية الى ملف «التوريث» او الى نفي جمال مبارك وجود نية او رغبة لديه للترشيح على منصب رئيس الجمهورية.. واذا كانت اجابته قاطعة وحاسمة، كما يقول البعض، ولا تحتمل التأويل او التشكيك، وانه يجب تصديقه والثقة فيما يقوله، حتى ولو كان ما يجري على ارض الواقع يخالف حقيقة ما يقال.

اذا صدقنا انه لا يفكر ولا يحلم بكرسي رئيس الجمهورية، فهل من حق الشعب المصري ان يسأل: وما هو بديل جمال مبارك؟

اي اذا كان الرئيس حسني مبارك لن يرشح نجله عن الحزب الوطني في الانتخابات الرئاسية المقبلة ايا كان موعدها، فمن سيكون مرشح الحزب الوطني في هذه الانتخابات، طالما ان الدستور اغلق الباب ـ عمليا ـ امام الاحزاب والمستقلين ومنعهم من حق الترشيح، الا بشروط معينة لا تتوافر في اي حزب، ولا في اي مصري.

من يكون رئيس مصر القادم؟

هل هو احمد عز عضو الامانة العامة للحزب الوطني والرجل القوي في امانة السياسات، ومحتكر 67 % من صناعة الحديد في مصر؟ هل هو محمد كمال المتحدث الرسمي باسم امانة السياسات وفيلسوف الحزب؟ هل هو محمد عبد اللاه رئيس جامعة الاسكندرية؟ هل هو ماجد الشربيني؟ هو هو محمود محيي الدين؟ من حق الشعب المصري ان يعرف اسم رئيسه القادم، فاذا لم يكن جمال مبارك، فمن يكون؟ من يعرف اجابة السؤال.. ارجو ان يرسلها لي على عنوان «المصري اليوم».

معارك الاقباط

والى اشقائنا الاقباط، والحكم الذي اصدرته محكمة القضاء الاداري بمجلس الدولة بالتصريح للمسيحي المطلق بالزواج، ومسارعة البابا شنودة الثالث بطريرك الاقباط الارثوذكس بانه لن ينفذ هذا الحكم، ولن يخالف ما جاء به الكتاب المقدس، وسوف يشلح اي رجل دين مسيحي يعقد قران اي مطلق مسيحي لغير علة الزنا. وقد احدث موقف البابا ردود افعال متباينة البعض من المسيحيين ايدوه واخرون مسلمون ومسيحيون اعتبروا موقفه تحديا للقضاء، وقد نشرت «الفجر» مقالين لكاتبين مسيحيين الاول ابن منطقتنا ورجل الاعمال كمال زاخر موسى الذي قال: «حصر الأزمة الناجمة عن صدور حكم للقضاء الاداري يلزم الكنيسة بالتصريح لمطلق بالزواج الثاني ورفض الكنيسة الرضوخ لهذا الحكم في عدم احترام الكنيسة للاحكام القضائية والبكاء على هيبة القضاء وزعم ان الكنيسة دولة داخل الدولة، يكشف عن اكثر من نقطة تحتاج الى توقف واعادة قراءة: اولا ان القضاء محكوم بنصوص تشريعية مكتوبة ومحددة، وهي هنا لائحة الاحوال الشخصية المقدمة من المجلس المحلي العام في ايار (مايو) 1938 وتمتد فيها الاسباب التي تجيز الطلاق الى عشرة اسباب. اما الكنيسة وهي محكومة في مسيرتها بنصوص قاطعة في الانجيل المقدس يحصرها قداسة البابا في الزنا الفعلي والحكمي وتغيير الديانة استنادا الى نص الانجيل بأنه لا طلاق الا لعلة الزنا (متى 19).

ثانيا انه بعد الغاء المحاكم الشرعية واحالة القضايا المنظورة امامها الى القضاء المدني في عام 1955 تقدم المجلس المحلي بمشروع قانون في ذات التاريخ ولم تكتمل اجراءات اصداره في تشريع لذلك عادت المحاكم الى الاخذ بلائحة عام 1938.

وفي ازمة مماثلة تقدم قداسة البابا بمذكرة لوزارة العدل بشأن شريعة الزوجة الواحدة في 18 حزيران (يونيو) 1996 ونجح في تأجيل الصدام حتى نجحت الكنيسة في التوفيق بين الزوجين طرفي النزاع الذي انتهى بالصلح، لكن بقيت الازمة قائمة لكنها متوارية. في 29 حزيران (يونيو) 1980 تقدمت الطوائف المسيحية بمشروع قانون الاسرة الموحد للطوائف المسيحية المصرية لكنه بقي حبيس ادراج وزارة العدل ولحقه حفظا المشروع المقدم من نفس الطوائف مجتمعة في عام 1998 ولم تذهب اي من هذه المشاريع الى المجلس النيابي لاقرارها واصدارها كتشريع يحكم الاحوال الشخصية للاقباط، وهو امر يحمل من المخاطر ما يهدد بمواجهة بين القضاء والكنيسة، ولك ان تتخيل طابور الاباء الكهنة المقدم للمحاكمة بتهمة الامتناع عن تنفيذ حكم قضائي وليس صحيحا ان الكاهن ليس موظفا عاما اذ هو يقوم بعقد الزواج ـ في الجانب المدني ـ بصفته «موثقا بوزارة العدل» لذلك اعتقد انه على الكنيسة الدعوة الى مؤتمر عام يحضره القانونيون من الاقباط والمهمومون بالشأن القبطي لبحث المشاريع المقدمة فليس من المقبول ان السيد المسيح كان يسعى في تعاليمه الى تقييد حرية الانسان وجبره على الاستمرار في حياة تعسة لا تتفق مع سعي الخلاص الذي اسسه السيد المسيح. وعلى جانب آخر لماذا لا تسارع وزارة العدل بتقديم مشروع القانون المحتجز جبرا في ادراجها الى مجلس الشورى والشعب. ثالثا: اذا كنا نسعى لتأسيس المجتمع المدني وبالتالي الدولة المدنية فلا بد ان نكرس العلاقات داخل المجتمع على اساس مفهوم المواطنة الذي يعني ان نسعى لنشر ثقافة الزواج المدني ويبقى الجانب الديني قائما لكنه اختياريا، حتى نغلق الطريق على من يتزوج دينيا ثم يحاول التملص من الضوابط التي يتضمنها العقد الديني».

ونشرت الجريدة مقالا آخر لزميلنا بجريدة «وطني» سامح فوزي قال فيه: «لا يوجد سبب للاستغراب من الموقف الاخير للبابا شنودة برفض اعادة تزويج المطلقين بحكم قضائي. فمن ناحية دينية بحتة تستند الكنيسة الى نص صريح في الكتاب المقدس لا يجب ـ في رأيها ـ المساس به، لكن ما يهم بالفعل هو الجانب السياسي للمسألة ومدى ارتباط هذا الموقف بالدولة ومؤسساتها. وهل الأقباط مواطنون في الدولة ام مواطنون لدى الكنيسة؟

الموقف الاخير للبابا شنودة والذي لاقى احتفاء قبطيا بالمناسبة، يتسق تماما مع منهج ادارة الشأن القبطي على مدار اكثر من ثلاثة عقود وهو يستند الى انشاء دولة موازية للاقباط